مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

الوزير نظام الملك الطوسي ودوره في الجانب الثقافي

سرى ممتاز عبد الله [1]

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ / الموصل – العراق [1]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/10/25

تاريخ المراجعة : 2026/1/15

تاريخ القبول : 2026/1/15

تاريخ النشر : 2026/6/22

الكلمات المفتاحية :

الوزير، نظام الملك، الطوسي

معلومات الاتصال

سرى ممتاز

suramomtaz@uomosul.edu.iq

الملخص

تستأثر فترة حكم الوزير نظام الملك الطوسي باهتمام المؤرخين والمهتمين بالتاريخ سيما أن حياته

انتهت بشكل مؤلم وتؤشر تفاصيلها مما يجذب الانتباه ، فقد نشأ يسير الحال يتيماً متواضعاً وكرس حياته

منذ صغره في طلب العلم والسعي وراءه وتعلم الكتابة والحساب ودراسة علوم القرآن وحفظه ، كما كان

حريصاً على الدفاع عن المذهب الشافعي مؤكداً على تدريس الأفكار والآراء الشافعية في علم الفقه والأصول، وعندما تولى منصب الوزارة الألب أرسلان سنة ٥٤٥٥ / ١٠٦٣م وابنة ملكشاه سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م كان في أوج عطاءه وعنفوانه ولعب دوراً بارزاً في تاريخ الدولة السلجوقية حتى مصرعه في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥هـ في حقبة تاريخية مهمة، ومن هذا ظهرت لدينا الرغبة في تسليط الضوء على حياة الوزير نظام الملك الطوسي وبيان دوره في الجانب الثقافي ، ولما ابداء من منجزات علمية وثقافية وإدارية خلال توليه منصب الوزارة لفترة ثلاثون عاماً قدم فيها أروع ملامح البطولات في تلك الحقبة الذهبية من العصر السلجوقي ، فكان اشهر وزراء السلاجقة فهو لم يكن وزيراً لامعاً وسياسياً ماهراً فحسب ، بل كان داعياً للعلم والادب محباً لهما أنشأ المدارس المعروفة باسمه المدارس النظامية ، وكان له الفضل الكبير في بروز المذهب السني الشافعي على مسرح الأحداث.

تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الأول منها بـ (سيرة الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي) ولادته ونسبه ونشأته وثقافته وتعليمه ومذهبه

وأخلاقه ومقتله ، وتابع المبحث الثاني (وزارة نظام المالك مبيناً وزارته الألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ / ١٠٦٣-١٠٧٢م) ووزارته لملكشاه (٤١٥-٤٨٥/١٠٧٢-١٠٩٢م) في حين أشتمل المبحث الثالث على دوره في الحياة الثقافية) وتضمن اثره

بالنهوض بالحركة العلمية والأدبية والعمرانية واشتغاله يعلم الحديث وتعديل التقويم السنوي وانشاء المدراس النظامية

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Minister Nuzam al-Mulk-Tusi and His Role in the Cultural Aspect

Sari Mamtaz Abdullah [1]

University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of History / Mosul - Iraq [1]

Article information

Received : 25/10/2025
Revised 15/1/2026
Accepted : 15/1/2026
Published 22/6/2026

Keywords:

minister , nizamal-mulk , tusi

Correspondence:
Sari Mamtaz
suramomtaz@uomosul.edu.iq

Abstract

The period of the rule of the Vizier Nizam al-Mulk al-Tusi continues to attract the attention of historians and those interested in history, especially since his life ended painfully and its details are influential, which draws attention. He grew up in humble circumstances and dedicated his life from a young age to seeking knowledge and pursuing it, learning writing, arithmetic, studying and memorizing the Quran. He was also keen to defend the Shafi'i doctrine, focusing on teaching Shafi'i ideas and opinions in jurisprudence and its principles.

From this, he assumed the position of vizier under Alp Arslan in 455 AH / 1063 AD and under Malik Shah in 465 AH / 1072 AD. He was at the height of his power and influence and played a prominent role in the history of the Seljuk state until his death on the tenth of Ramadan in 485 AH during an important historical era. From this, it became clear that the desire is to shed light on the life of the Vizier Nizam al-Mulk al-Tusi and his role in the cultural aspect, and what emerged from his scientific, cultural, and administrative achievements during his tenure as vizier, making him a wonderful example of leadership in that era of transition. He was the most prominent of the viziers of the state, as he was not only a brilliant vizier and a skilled politician, but also a patron of

science and scholars, establishing the famous schools known as the Nizamiya Schools, and he played a major role in the emergence of the Sunni Shafi'i doctrine during events.
The study was divided into three sections: the first section dealt with the biography of the transitional vizier Nizam al-Mulk al-Tusi, his upbringing, lineage, birth, and death, his method and approach, and his legacy. The second section (Nizam al-Mulk's vizierate under Alp Arslan (1063-1072) and his vizierate under Malik Shah (1072-1092)) while the third section included his role in cultural life and included his efforts to advance the scientific, educational, and scholastic movement through the science of Hadith, the system of the Sunni calendar, and the establishment of correspondence

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المبحث الأول

سيرة الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي

أولا : ولادته ونسبه

هو أبو علي الحسن بن علي بن اسحق بن العباس الملقب بنظام الملك ، وزر الملك الب أرسلان وولده ملكشاه تسعا وعشرين سنة وكان من خيار الوزراء(**ابن كثير: 1991 ،140/12)**. وقد عرف الوزير نظام الملك بخواجابزرك وخواجا بالفارسية الوزير وبرزك العظيم(ابن الاثير :اوما،**419،منهل ،زكار : 1995 ،345 / 1)** . وكانت ولادة نظام الملك يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان واربعمائة في نوقان ، إحدى قرى الراذكان التابعة لولاية طوس(ابن مكان:1997، **311/5)** .

وقد وصفها ياقوت الحموي بأنها إحدى قصبتي طوس ، وولاية طوس لها مدينتان إحداهما طابران والأخرى نوقان التي تبرم فيها المواثيق والمعاهدات ، وقد خرج منها خلق من العلماء والفقهاء(ابن مكان: 1997، 311/5).

وكان عمل والده دهقانا في منطقة بيهق التابعة لطوس زمن الغزنويين (ابن الجوزي :1940 ، 64/9)، وقد ذكر ابن كثير(ابن الاثير ، 12،140/1987)ان والد نظام الملك كان ممن يخدم أصحاب السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي(387–421هـ) . وأكد ذلك ايضا الدكتور غلام حسين بالاعتماد على مصادر فارسية في

تصديره لكتاب سياسة نامة ، فقال بأن والد نظام الملك عمل في خدمة ابي الفضل سوزي بن المعتز حاكم خ ارسان من قبل الغزنويين ، جابيا لضرائب منطقة طوس ، لكن دخله لم يكن يفي بنفقاته(الطوسي:2001 ، 19). وتوفيت والدة نظام وهو رضيع ، فلم يكن بمقدور والده توفير مرضعة له بسبب ضيق ذات يده ،فأرضعته النساء مجانا حسبة لله تعالى ، وذكر ابن الأثير (ابن الاثير ك 1940 ، 480/8) ان نظام الملك ازل ما كان لأبيه من مال وملك ، وتوفيت أمه وهور ضيع ، فكان ابوه يطوف به على المرضعات ، فيرضعنه حسبة أي دون مقابل.

ثانيا : نشأته

نشأ نظام الملك فقيار يسير الحال متواضعا لكنه كان طموحا عالي الهمة كما وصفه ابن الجوزي (ابن الجوزي : 1940 ، 1940 ، 65/9) قائلا " كان عالي الهمة إلا أنه كان فقيار". كما أكد ذلك ابن خلدون (ابن خلدون : 200 ، 5 / 15) في قوله عن نظام الملك " ذهبت نعمة آبائه وماتوا ، فنشأ يتيما " . إلا أن همته العالية تغلبت على اليتم والفقر فانصرف منذ صغره الى طلب العلم والسعي وراءه ، والعمل الدؤوب لنيل المعرفة والعلم والتفقه وفهم كل ماهوا غامض ومبهم ، والوقوف على العلل والأخطاء وتصحيحها وتعديلها وجعلها على المسار السليم ، كما يفهم من قول ابن
الأثير (ابن الاثير ، 1987 ، 480/8) أن نظام الملك " شب وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا".

وقد كان نظام الملك من أبناء الدهاقين في مدينة طوس ، وذهب ما كان يملكه والده من أموال وممتلكات

، وتوفت والدته وهو في سن الرضاعة وكان ابوه يتنقل به من مكان لأخر للبحث عن المرضعات ليرضعنه في سبيل الله ، وترعرع حتى نضج و شب وتعلم اللغة العربية والاستماع الى الحديث والإنصات اليه، ثم عمل بالأشغال السلطانية واستمرت الدنيا تعلو به وتنخفض حضرا وسفرا ، وكان يطوف في بلاد خراسان حتى وصل الى غزنة في صحبة بعض المتصرفين ، وقد مكث نظام الملك عند أبي علي بن شاذان متولي الأمور ببلخ لداؤود والد السلطان ألب أرسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وامانته وصار معروف عندهم بذلك.

ثالثا: ثقافته

ان ثقافة نظام الملك هي امتزاج حي لثقافة عصره بالدارسات الشرعية وبتقاليد السلاجقة الموروثة والتطور الحاصل بعد اعتناقهم للإسلام ، فقد قرأ القرآن وحفظه واهتم بدارسة اللغة وعلم الحديث منذ الصغر ، كما تفقه على المذهب الشافعي حيث كان والده واسرته من اتباع هذا المذهب ، يضاف الى هذا ان والده قد

وجهه لكي يتفقه على شيوخ الشافعية ، كما بلغ نظام الملك من الدنيا مبلغا عظيما لم ينله غيره وكان عالما فقيها في الأمور الدينية ، خيراً ، متواضعاً ، عادلاً ، يحب أهل الدين ويكرمهم ويجزل صلاتهم وكان أقرب منه وأحبهم اليه العلماء والزهاد وأئمة الفكر وطلاب العلم وكان يجالسهم في المحافل وأخذوا يتسابقون للاتصال به ، يثنون على عدله واهتمامه بأحياء السنة المطهرة وما كان مهم لا ف ي أيام من سبقه وهو من جانبه كان يحترمهم ويكرمهم ويغدق عليهم العطايا و الهبات بل انه كثيرا ما كان يشترك مع العلماء في المناظرة والبحث عن ما هو غامض من المسائل ولاغرابة في ذلك فقد تعلم الفقه وعمل به منذ صباه، واستوى أمر نظام الملك ودام بالعلم فكره ، وبلغت المنى غايته ، ولمع قلمه ، وارتقت وسادته ، وانتشرت سيادته ، ومضت مضاربه وسحائبه ، وفي فترة توليه منصب الوازرة اعطى للكتاب الكثير من المراتب والمناصب ، وما زال بابه ملتقى الفضلاء ومجمع العلماء.

رابعا : تعليمه

بدأ نظام الملك تعليمه في بلدته نوقان حيث تعلم اللغة العربية ودرس القرآن وتعلم أصول الفقه على المذهب الشافعي ، وكان مجلسه مأهولا بالعلماء والفقهاء والأدباء ، وقام بتأسيس المدرسة الكبرى في بغداد ومثلها في نيسابور وأخرى بطوس وشجع على طلب العلم واثنى على طلابه الصلات والعطايا، وأملى الحديث ووسع صيته ونال شهرة كبيرة وتقلبت به الأمور والأحوال الى ان تولى الوازرة في عهد السلطان ألب أرسلان ومن بعده لأبنه ملكشاه ، فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي وخفف المظالم وأهتم بأمور الرعية وبنى الوقوف وهاجرت الى جانبه كبار القوم وشيوخها وعلماؤها ووجهاؤها (الذهبي : 1996 ، 19 4 – 95). وأجمل ابن كثير ما تقدم ذكره عن ثقافة نظام الملك وعلم ه بقوله " قرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة واشغله والده بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الأمام الشافعي ، وسماع الحديث واللغة و النحو ، وكان عالي الهمة فحصل من ذلك طرفا صالحا (ابن كثير : 1991 ، 125/16). وقد أهتم نظام الملك في شبابه بتعلم الكتابة والحساب وعمل بعد ذلك في دواوين الدولة الغزنوية في غزنه (*)، فبرع في علوم الكتابة والحساب والأنشاء ، واكتسب التجربة والخبرة الأدارية ، وسار الى غزنه، ف صار كاتب ا فذ ا واظهر ابداعه في الحسب وبارعته في الأنشاء وكان فطنا ، كيسا ، ذكيا ، أثبت امكانياته وقد ارته في إدارة شؤون الدولة (الذهبي : 1996 ، 96/19).

كما ازدته خبرته في العمل مقدرة وكفاءة فهو على حد قول السبكي (السبكي :1918 ، 313/4)" لم يكن في زمانه من هو أكفأ منه في صناعة الحساب وصناعة الأنشاء ، ووصفوه بسداد الألفاظ فيهما عربية وفارسية"

خامسا : مذهبه

لقد كان نظام الملك شافعيا سنيا حريصا على الأسلام الصحيح وقد عاصرته آراء وأفكار متباينة ومختلفة كانت منتشرة في العالم الإسلامي كالمعتزلة والباطنية وبقايا القرامطة وغيرهم من أصحاب الملل والنحل

، وكان نظام الملك يرمي بدرجة كبيرة الى توجيه الرعية وجهة تخدم مصلحة الدولة وتبعث على الاستقرار والسكينة والأمن ، لذا كان هم نظام الملك التأكيد في مواضع الدارسة على افهام الناس عامة ومنتسبي النظامية خاصة أصول الدين الصحيحة ، ولما كان نظام الملك شافعيا ، كان يرى أن يدرس الفقه والأصول المستمدة من أفكار وآراء الشافعية ، وكان من شروط النظامية ان يكون المدرس من الشافعية أصلا وفرعا(الذهبي : 1996 ، 282/1) .

سادسا : أخلاقه

كان نظام الملك عالما فقيها جوادا عادلا حليما ، كثير التسامح عن المذنبين ، يتحلى بالهدوء والسكينة ، وكان كل ما سمع الأذان أمسك عما هو فيه وكان يراعي أوقات الصلوات ويصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقة وكان له الحلم والوقار وحسن معاشرة العلماء واعطائهم من الأهمية ما يتناسب وعلمهم .غرس نظام الملك في قلوب الناس شجرات الأحسان المثمرة ، وسادت في دولته العدالة والقانون، ومضت أيامه فضل وسماح ، وان جلس للنظر في المظالم أقام بحكم كتاب الله وسنة نبيه ، وكان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، ويجاهد فلا يترك في صفوف الأعداء حيا ، بطل ، شجاع ، رجل هابته الدنيا لا تضع الحرب عنده أوزارها حتى يضع العصاة اوزارها وتخمد نيرانها.

سابعا : مقتل الوزير نظام الملك:

انتهت حياة الوزير السلجوقي نظام الملك في ظروف طوى عليها الغموض وكثرة التساؤلات والشبهات حول من يقف وراء عملية تصفية واغتيال هذا الوزير الذي كرس حياته في خدمة الدولة ، والحقيقة ان نظام الملك منذ ان تولى زمام الأمور في إدارة شؤون الدولة بصورة عامة والوازرة بشكل خاص في عهد السلطان ملكشاه كان قد تعرض الى ضغوطات كبيرة جعلته في صدام مباشر وصارع دائم مع قوى مختلفة متعددة الأهداف مما دفع الكثير من المؤرخين أن يرجعوا اغتياله ومصرعه الى أسباب عديدة ، وقد اختلفوا في تحديد الجهة التي تقف وراء عملية الاغتيال ودوافعها ، فهناك من قال أن السلطان ملكشاه هو الذي دبر مقتله لأسباب عدة منها ، أن السلطان ملكشاه طول عمر نظام الملك وتبذيره لأموال الدولة وضجر من استبداد نظام الملك وأولاده بأمور الحكم والدولة،(السبكي : 1918 ، 67/9) وقد ذكر ابن خلدون أيضا في قوله " أن السلطان ملكشاه وضع الباطني على قتله لما وقع منه ومن بني بنيه من الدالة والتحكم في الدولة" (ابن خلدون : 200، 67/9) وفي يوم العاشر من رمضان سنة(485هـ – 1092م) بالقرب من مدينة نهاوند وهو خارج مع السلطان من أصفهان الى بغداد ، حيث اعترضه رجل ديليمي على هيئة صوفي وبيده ظلامه يطلب الاستغاثة والمساعدة من نظام الملك ، فلما التفت اليه نظام ليسمع شكواه ، طعنه ذلك الديلمي بسكين في فؤاده فقتله على الفور ، وعندما لاذا القاتل بالفرار تعثر بوتد الخيمة فأدركه رجال نظام الملك وقتلوه، وحمل أصحاب نظام الملك جثته الى أصفهان

، ودفنوه في محله ك ارن في موضع جميل رائع قرب مجرى مائي ، ويطلق الأصفهانيون على ضريحه اسم ت ربت نظام.

المبحث الثاني

عمله في الوازرة للفترة (455_485هـ) / (1063_1092م)

أولا : وازرته لألب أرسلان (455-465هـ) / (1063_1072م)

كان منصب الوازرة في العصر السلجوقي من المراكز المهمة في الدولة حيث كان الوزير الرجل الثاني بعد السلطان في إدارة شؤون الدولة ، وأصبح للسلطان السلجوقي وزيرا خاصا به يدعى بالخواجة أو الصدر أو الدستور، حيث كان عندهم يمثل أعلى مقام في الدولة بعد السلطان وع د بأنه الساعد الأيمن للسلطان ومدير اعماله والتحدث باسم الملك أو السلطان في تنفيذ أ وامره في ارجاء المملكة (فوزي ابن : 1984 ، 97).

يتصف الوزير السلجوقي بسداد ال أري والصلاح والفقه والشهامة الصبر وحبه للعلم والعلماء واجادته واتقانه للغة العربية والفارسية وحسن تدبيره لأمور البلاد والجيوش، فهو يسهم بشكل كبير في التنضير والتوجيه و ابداء الرأي وتقديم المشورة في السياسات الداخلية والخارجية، وكان لنظام الملك أثر كبير في غرس روح المحبة والألفة والمودة في نفوس الناس حتى كاد ان يصبح منصب الوازرة وراثيا لأسرته، مما أدى إلى تولي كثير من أبنائه واحفاده منصب الوازرة تباعا نتيجة النظرة المشرفة والمتوهجة عن نظام الملك التي ظلت ارسخه في عقول وقلوب الناس لفترة من الزمن لما قدمه من منج ازت عظيمة وسوف نتحدث عنها في المبحث الثالث(الحنبلي : 1979 ، 373/3).

وعندما استقر السلطان السلجوقي ألب أرسلان على عرش السلطنة في عام (455هـ) أسند منصب الوازرة إلى الوزير نظام الملك الطوسي، فخول اليه مطلق الصلاحيات من حل وعقد وقبض وبسط وتفويض وعزل، وبذلك سيطر ال وزير السلجوقي على جميع م ارفق الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لما يقارب العشر سنوات تحت لواء السلطان ألب أرسلان وقيادته واشارفه المباشر، وعشرون سنه اخرى تحت امرة ولده جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه (العمراني : 1999 ، 200).

وكان قد تولى نظام الملك الوازرة بعد سلسلة من المحاولات والجهود الحثيثة التي سعى فيها جاهدا بعد وفاة طغرل بك عم الب أرسلان لسحب السلطة لصالح صاحبه الب أرسلان، وبعد صدور فرمان الاعتقال ومن ثم مقتل الوزير أبو نصر محمد الملقب عميد الملك الكندري الت أمور الوازرة إلى نظام الملك الطوسي بأمر من جلاله السلطان الجديد الب أرسلان ، وقد لعب نظام الملك دورا كبيرا في التأثير على السلطان الب ارسلان باتخاذه قرار قتل عميد الملك(ابي الفدا : 1907 ، 84/2).

وقد واجه السلطان الب أرسلان بعد اعتلاءه عرش السلطنة في أعقاب وفاة عمه طغرل بك الكثير من الصعوبات والمتاعب ولم يكن امامه ألا وزيره نظام الملك العقل المدبر والمنفذ والساعد الأيمن للسلطان، فقد اشتعلت نيران التمردات والثورات في اقاليم الدولة من سمرقند شرقا حتى بلاد الروم غربا ، وهكذا أعلن العصيان في بلاد ما وراء النهر وكذلك الحال قيام فخر الدولة بيغو ابن ميكائيل أمير هراة عم الب أرسلان بالتمرد واثارة الشغب والسعي طمعا وراء نيل عرش ملك السلطنة ، وكذلك قيام شهاب الدولة قتلمش السلجوقي هو الأخر الذي أعلن القيام على الدولة السلجوقية مستغلا حالة الفوضى والاضطراب والضغط الذي تتعرض له اقاليم الدولة.

وما كان من السلطان الا ان يستخدم القوة العسكرية بعد استشارة الوزير نظام الملك في إجهاض و ردع حركات التمرد سواء في بلاد فارس او في بلاد الروم أو في بقيه الأمصار، وقد شارك الوزير نظام الملك في اخماد جميع الحركات والتمردات التي قامت لزعزعة الأمن والاستقرار، كما شارك في الفتوحات التي كانت بعضها تحت إشراف السلطان الب أرسلان والبعض الأخر بقيادة ابنه ملكشاه ، وقد كان للوزير نظام الملك بصمة كبيرة في فتح مدينه النصارى والرهبان مريم نشين وضمها إلى ممتلكات المسلمين بعد فرض الحصار عليها واستسلامها دون قيد أو شرط (ابن الاثير: 1987 ، 8 / 388).

وكذلك فتح مدينه حلب في بلاد الشام بعد فرض الحصار الخانق عليها وخوض سلسلة من المعارك العنيفة التي انتهت باستسلام أميرها محمود بن برداس واعترافه بقوة السلطان الب أرسلان ووزيره نظام الملك بعد أن نال الأمان والاستحسان من قبل السلطان (ابن الاثير: 1987 ، 8 / 388).

وقد تمكن أيضا السلطان الب أرسلان بقيادة نظام الملك من دك معاقل وحصون الفرس المنيعة بعد ضبط الحظر والمنع وقطع الإمدادات والشروع بالنزال المحتدم مع اميرها فضلون الذي امتنع عن تقديم الطاعة حتى استسلم ووقع في الأسر(ابن الاثير: 1987 ، 8 / 388).

واستمرت الانتصارات وفتح المدن تلو المدن وفرض القانون وضبط الأمور في جميع امصار الدولة السلجوقية، وردع محاولات الروم والفرس وكبح جماحهم بين الحين والحين، وكانت العلاقة القائمة بين السلطان الب أرسلان ووزيره نظام الملك علاقة حذرة ينتابها الحرص والحزم وهذا بسبب الشخصية القوية التي كان يتمتع بها السلطان الب أرسلان وكياسة عقله التي لم تمنح الوزير نظام الملك الاستفراد بالوازرة واحتكار القرارات والهيمنة على مقد ارت الدولة، فظهر دوره منفذا في أغلب الأحيان لما يأمر به السلطان الب أرسلان، واقبل السلطان الب أرسلان قبيل وفاته استدعاء وزيره نظام الملك وأوصى به و اليه في إدارة مهمات الدولة وواجباتها وجعل ولده ملكشاه ولي العهد وفوض اليه الملك من بعده (الاصفهاني : 1987 ، 45).

ثانيا : وزارته لملكشاه(465-485هـ) / (1072_1092م)

تولى ملكشاه حكم السلطنة بعد وفاة والده الب أرسلان مباشرة بحضور العسكر والرعية وبأشراف الوزير نظام الملك، حيث امر السلطان الب أرسلان بذكر ابنه ملكشاه في خطبة الجمعة والدعاء له بعد أخذ البيعة من دار الخلافة في بغداد، وما أن تسنم ملكشاه المنصب حتى ثارة المشاكل وظهرت الأطماع في نيل الملك من قاورد شقيق السلطان الب أرسلان وعم ملكشاه والذي كان اميرا على كرمان في بلاد فارس حيث بدأ بأثارة الشغب والتمرد، لكن حسن تدبير الوزير نظام الملك حال دون ذلك واستطاع اخماد حركته وهزيمته (ابن خلدون : 1405 ، 515).

وبعد النصر الذي حققه نظام الملك على قاورد تطاول الجند وطلبوا وزيرهم بزيادة الأرزاق والرواتب وان لم يتحقق مرادهم فأنهم سينضون تحت إمرة قاورد العدو اللدود للسلطان ملكشاه، لكن نظام الملك بسياسته الذكية وحنكته و رجاحة عقله استطاع امتصاص زخم الجند ووعدهم بزيادة الأجور بعد أن أمرهم في نفس الليلة من التخلص من قاورد ليضمن ولاء الجند والسيطرة عليهم، وقد تم هذا الأمر بتدبير اغتيال قاورد بوضع السم في الشراب وسمل عيون ولديه الاثنين (الراوندي : 1245، 128/2).

ولكسب طاعة العساكر وشعور السلطان لأهمية الجند أمر وزيره نظام الملك وبأشرفه المباشر بتخصيص رواتب ثابته للجنود واقطاعهم مخصصات في المناطق التي يتواجدون فيها والاهتمام بهم وتلبية حاجاتهم حتى لا يعودوا مرة أخرى للعصيان والتمرد، وبعد أن تم احكام السيطرة على الأمور وضبطها الت أمور الدولة برمتها لنظام الملك لعشرين سنه بعد أن وطدت المملكة ملكشاه بعد صراع محتدم بين أبناء السلطان الراحل الب أرسلان (ابي الفدا : 1331 ، 189/2).

قام السلطان ملكشاه بتخويل الوزير نظام الملك بكل شؤون الدولة الصغيرة والكبيرة ومنحه الحرية المطلقة وكافة الصلاحيات في إدارة الدولة ومؤسساتها المدنية والعسكرية، وأكرمه السلطان وأغدق عليه الأموال والأراضي وأزد عليه مما كان يمتلكه وقلده بلقب اتابك، وبالمقابل اثبت نظام الملك جدارته وكفايته وشجاعته في تولي منصب الوازرة.

قامت بعض التمردات على الدولة السلجوقية حيث قام خاقان التكين أمير سمرقند بالعصيان والاستيلاء على مدينه ترمذ، وبهذا أمر ملكشاه نظام الملك بالسيطرة على الموقف وسار نظام الملك بالعساكر إلى ترمذ وحاصرها حتى استسلمت المدينة ، وقيام اخ خاقان التكين بتسليم قلعه ترمذ وطلب الأمان لأهلها ونال مراده بعد أن التمس نظام الملك حسن نيته فأكرمه واعطاه الأمان وقام بتسليم قلعة ترمذ إلى الأمير ساوتكين الذي كلفه نظام الملك بإدارة سمرقند والعمل على اعمارها وتحصينها، وتوجه السلطان ملكشاه قاصدا سمرقند لملاحقة صاحبها خاقان لتلقينه القصاص العادل حيث هرب طالبا من نظام الملك الوساطة بينه وبين السلطان ليقدم الاعتذار والندم وعقد الصلح وقد تم له ذلك لاحقا (الذهبي : 1،256/199).

كان السلطان ملكشاه محاط بحاشية من الفاسدين والناقمين، حيث أشار بعضهم للسلطان ان يقوم بتقليل عدد العساكر وتسريح ثلاثمائة وثلاثين ألفا من أصل أربعمائة ألف فارس والبقاء على سبعين الفا وان امر المملكة يكفيها هذا العدد وبهذا ستتوفر الأموال إلى خزانة الدولة، ولولا تدخل الوزير نظام الملك في الوقت المناسب وتقديم النصيحة والمشورة للسلطان بالعدول عن هذه الافكار والمقترحات التي ستهلك الدولة لا محال باعتبار ان ملك الدولة السلجوقية كبير يمتد من بلاد ما وراء النهر إلى كاشغر وبلاد الغور وخوارزم واران واذربيجان وفارس والعراق والشام وانطاكيه، وبأن هذه الولايات تحتاج إلى الأموال والجيوش والتجهيزات اللازمة وان استبعاد ثلاثمائة وثلاثين الف فارس من الخدمة العسكرية وهم لا يمتلكون الحرف والمهن التي ستؤمن لهم الحياة الكريمة سيحدث خرق كبير في صفوف الجيش وبالتالي فإن الأموال ستهلك والرجال تتفرق والدولة تضعف (القزويني : 1958، 314-412).

تعكر صفو العلاقة بين الدولة السلجوقية والخلافة العباسية بسبب سوء خلق ومعاملة ابي الفتح ابن أبي الليث عميد العراق للخليفة العباسي المقتدى بأمر الله والذي اشتكاه إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك، ولم يتوانى السلطان ملكشاه في تلبية شكوى الخليفة العباسي حيث امر الوزير نظام الملك بالتدخل الفوري والذي قام بدوره في عزل عميد العراق ورفع يده عن التدخل في شؤون الحاشية (ابن الاثير: 1932 ، 8 / 431).

وكان الدور الكبير الذي لعبه نظام الملك في تحسين وتوطيد العلاقة بين الخليفة العباسي والسلطان قد عززت مكانته في السلطنة وتصفية خصومه واعداؤه من الناقمين عليه أمثال ابو المحاسن بن أبي الرضا سيد الرؤساء وصهر نظام الملك الذي اضمر له العداوة والذي سعى هو الأخر في ان يزرع الفتنة بين السلطان ووزيره والذي اتهم نظام الملك بالاستيلاء على الأموال والاقطاعات وقد انتهى به الحال إلى النفي والقتل بعد أن كشف نظام الملك للسلطان أفكاره ونواياه المسمومة بالدليل والبرهان، وبعد أن تقصى السلطان ملكشاه الحقيقة بنفسه تبين صدق وزيره وأمر باعتقال ابي المحاسن وسمل عيناه(ابن الاثير: 1232 ، 8 / 451).

كان عبئ الدولة ملقى على عاتق الوزير نظام الملك فهو الحريص على مقدرات الدولة صاحب النظرة الثاقبة والفكر الناضج والعقل المدبر والبصيرة النافذة على عكس السلطان ملكشاه الذي لم يكن له دراية كافية وخبرة تؤهله لحكم الدولة وانصرف نحو اللهو والاهتمام بالأمور الشخصية تاركا مسؤوليات الدولة على وزيره نظام الملك(الراوندي : 2005 ،207).

كان هناك من يسره اثارة الفتنة بين السلطان ووزيره كما هو الحال مع تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه ووزيرها الحاسد والمنافس تاج الملك الناقم على نظام الملك والطامح لأخذ مكانه، وقامت تركان خاتون بدورها في تشويه سمعة نظام الملك امام زوجها وتحرضه على سحب الثقة عنه و اطلاق يده عن الوازرة ومحاسبته على تعين ابناؤه على الولايات والاقطاع لهم، وبإصرار تركان خاتون وكثرة الضغط على زوجها السلطان ملكشاه

قام الأخير بتوجيه الانتقاد والتهديد لوزيره ومطالبته بتوضيح سياسته وادارته لكل مرافق الدولة وتقديم التقارير اولا بأول، وما كان رد فعل الوزير نظام الملك الا واتسم بالحزم والغلظة والثقة العالية بالنفس والاتزان وعامله معاملة الند بالند من دون أن يظهر أي ضعف أو انكسار (الراوندي : 208،2005).

ومن منطلق الحرص على مصلحة الأمة والظهور بمظهر القوة وبسبب حجم ومكانة الدولة السلجوقية حيث يتطلب تجهيز حملات عسكرية بين الفينة والأخرى لتثبيت دعائم الحكم قام السلطان ملكشاه يرافقه وزيره نظام الملك بشن حملة عسكرية واسعة في بلاد ما وراء النهر لتستعيد الدولة سيادتها ومكانتها هناك ، وسارت الجيوش يقودها السلطان ووزيره نظام نحو سمرقند واخضاعها وتأديب عاملها احمد خان بن خضر خان الذي أظهر سوء إدارته وظلمه للناس وكذلك الحال في مدينة كاشغر حيث امر السلطان ملكها بأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة وضرب سكه النقود باسم السلطان (ابن الاثير: 1232 ، 8 / 456/8- 458).

والواقع ان نظام الملك خلال عمله الطويل في الوازرة لعشرين سنة وزرّ بها للسلطان ملكشاه قام بالكثير من جلائل الأعمال وحكم فيها حكما تفويضيا مطلقا وأمسك جميع مقاليد الأمور بيده (ابن الاثير: 1232 ، 5 / 451-458).

المبحث الثالث

دوره في الحياة الثقافية أو لا : أثره بالنهوض في الحركة العلمية والأدبية والعمرانية

بذل الوزير نظام الملك جهدا واضحا للنهوض بالحركة العلمية والأدبية وكان محبا لأهل العلم ، كثير الأحسان إليهم ، حتى أنه رتب للعلماء رواتب ثابتة تصرف لهم بانتظام ، وكان يقوم بصرف مرتبات ثابتة لاثني عشر ألف رجل من رجال العلم في مختلف انحاء الدولة الإسلامية ، وكان مجلس الوزير نظام الملك يضم فحول العلماء في شتى فنون المعرفة ،وقام بإنشاء المكتبات وزودها بالكتب ، فكانت سوق العلم في أيامه(الزهراني: 1980، 190).

كما قام بتأسيس المدارس النظامية وفق مناهج علميه منظمة، وقد انتشرت في كل من بغداد والبصرة والموصل واصفهان وطبرستان ومرو ونيسابور وهراة وبلخ، وقام نظام الملك بأنشاء هذه المدارس في عهد السلطان السلجوقي الب أرسلان(السبكي: 1918 ، 4 / 313).

كان نظام الملك أعظم وزير سلجوقي، وكانت علاقته مع شعراء وادباء وعصره علاقة وثيقة تسودها المحبة والوئام، حيث كان يجزل عليهم العطايا والهدايا ويهتم بالشعر والشعراء، وكان قد ذكره الشاعر مؤيد الدين

أبو إسماعيل الكناني المعروف بالطغرائي أصله الفارسي، ووجهه المنير ومدح قلمه وسيفه وجيوشه بين ألف ارت وجيحان وحروبه مع البيزنطيين فقال :

رمى بنواصيها الفرات فأقبلت ... مغيبة الأعطاف تلع المناكب
وخاض بها جيحان يلطم موجه ... ملاطمة الخصم الالد المشاغب
خميس اقاصي الشرق ترزم تحته... وتارتج منه اخريات الغوارب
يلفهم بالرعب قبل طاردهم ... ويهزمهم بالكتب قبل الكتائب

والطغرائي إذ يصف نظام الملك ويتحدث عن أخلاقه وحروبه وخلعه ، إنما يتحدث عن رجل رآه عن كثب، ولم يبتعد حتى في مبالغاته عن الحقيقة التاريخية (الطغرائي: 1300، 12).

ومن الشعراء الذين مدحو نظام الملك غير الطغرائي شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية البكري، وكان ختنه فإن نظام الملك زوجه ابنته فرثاه فقال :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... نفيسة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الأيام بقيمتها... فردها غيرة منه إلى الصدف.
(علي جواد: 1958 ، 310)

وكما ذكر ابن كثير " كان مجلسه عامرا بالفقهاء والعلماء بحيث يقضي معهم عامة أوقاته ، فقيل له : إن هؤلاء قد شغلوك عن كثير من المصالح، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو اجلستهم على أرسي ما استكثرت ذلك " (ابن كثير: 1991 ، 16 / 126)

وأبدى الوزير نظام الملك الطوسي عناية كبيرة بالمنشأت المدنية وبإقامتها وفق خطط هندسية دقيقة حيث أقام المستشفيات والمساجد والرابطات، فضلا عن الاهتمام بالإصلاحات العمرانية، وشمل العمران المنازل والاسواق والمساجد الجامعة، وكان للوزير السلجوقي نظام الملك اهتمام خاص بدور العبادة، فبنى كثيرا من المساجد في مختلف البلاد الخاضعة للسلاجقة، كما أهتم بعمارة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، واقام العديد من الرابطات بالعراق وفارس للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء، ورتب إليهم ما يحتاجون اليه من غذاء وكساء ، كما بنى مارستانا بمدينة نيسابور. (الزهراني: 1980 ،197)

عمل نظام الملك في تنظيم الشؤون الإدارية فكان اليد الموجهة لأداء الدولة فأشرف بنفسه على رسم سياسة الدولة داخليا وخارجيا بشكل كبير وبصورة دقيقة ، حيث أهتم بشكل خاص بالبريد الذي كان رجاله يوافون الحكومة بكل اخبار البلاد الخاضعة لها كما عمل على الحد من استغلال الموظفين والعمال لسلطاتهم حتى لا يرهقوا

الرعية بالرسوم والضرائب الباهظة ، وكان يغير الولاة والعمال مرة كل سنتين او ثلاث ضمانا لعدم تلاعبهم في اعمالهم. (الصلابي: 2006 ، 1 /124-125)

كما أن نظام الملك له من المنجزات العلمية الرائدة وخصوصا في تأليفه لكتاب سياسة تامة الذي يعد خلاصة تجاربه في الإدارة والحكم وقد الفه في أواخر حياته بناء على طلب السلطان ملكشاه ، الذي كلف سنة (479هـ_1086م) عددا من مشاهير دولته وحكمائها، أن ينظروا في أحوال المملكة، ويكتبوا له عن كل شيء غير محمود فيها ، وأن يرفقوا بذلك ما يعرفونه من السنن الحميدة للملوك السابقين ثم يعرضونها عليه ليتخذ منها دستورا له، فقدموا له عدة كتب اختار منها كتاب نظام الملك سياسة نامة وقال : لقد اتخذت هذا الكتاب إماما لي وعليه سأسير، ويقع الكتاب في خمسين فصلا تتناول كل الجوانب المتعلقة بإدارة الدولة ، وما يجب على السلطان عمله للحفاظ على قوتها واستمرارها. (الهلابي: 2006 ،27)

ثانيا : اشتغاله بعلم الحديث

كان للوزير نظام الملك الطوسي الأثر الكبير في النشاطات الثقافية للدولة السلجوقية ، فقد عرف بالورع والتقوى والنزاهة والتمسك بكتاب الله وسنة نبي ه والالت ازم بأداء الفرائض من صلاة في وقتها وصيام دائم وتزكية للأموال وصدقاته وخي ارته التي لا تنقطع بالإضافة إلى حبه وشغفه بدراسته لعلم الحديث وروايته ، فقد القى الحديث في مدن عدة كنيسابور ومرو واصبهان وال ري وبغداد وأملى الحديث في جامع المهدي وفي مدارسه النظامية وكان يردد دائما " أني لأعلم أني لست أه لا للرواية ولكني أريد أن اربط نفسي على قطار النقلة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " (ابن الجوزي: 1970 ، 9 /166)

كما أولى نظام الملك لعلم الحديث أهمية بالغه ورعاية وعناية كبيرة اضافة إلى العلوم الشرعية الأخرى فهو على حد قول ابن العماد" انه اشتغل بالحديث والفقه".(الحنبلي : 1979 ، 3 /373)

ثالثا : تعديل التقويم السنوي

لقد حظي التقويم السنوي بالتعديل الذي قام به الوزير نظام الملك بتوجيه وتكليف مباشر من السلطان ملكشاه والذي بدوره قدم كافة التسهيلات والمستلزمات لتحقيق ذلك، ولم يدخر نظام الملك أي جهد في تعديل التقويم السنوي للدولة السلجوقية، وفي عام 467هـ/1074م استدعى نظام الملك خيرة المنجمين لغرض إجراء تعديل التقويم السنوي بما يخدم المواطنين ويحقق لهم الراحة والطمأنينة وتنظيم شؤون الضريبة (ابن الفدا: 1370 ، 2 /191-192)

وفي السنة السابقة الذكر أمر السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك بإجراء الرصد واجتمع في تحقيق هذا الأمر لفيف من العلماء الافاضل على رأسهم عمر الخيام (*) وابو المظفر الاسفرائيني وميمون بن

النجيب الواسطي وقد تم وضع ميزانية مالية كبيرة لأنشاء المرصد ومن أجل ان يستمر العمل دون انقطاع، وصرف أموال طائلة على هذا المشروع الاستثنائي واستمر الرصد دائرا ، حيث أن هذا المنجز العلمي قد استمر إلى سنة 485هـ/1092م، وحينما توفى السلطان ملكشاه توقف المرصد عن عمله. (القزويني: 1958 ، 474-475)

أربعا : انشاء المدارس النظامية

تعتبر مدينة نيسابور هي أول مدينة إسلامية أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم وكان ذلك في عهد محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري، فقد أنشئت المدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة أبو سعيد الاصطرلابي ومدرسة ابو اسحر الاصفارني، وقد ظلت هذه المنشأة عمائر محلية مدة خمسين عاما ثم قضي عليها تماما بعد قتل وزير طغرل بك مؤسس دولة السلاجقة، الأ أنها بعثت من جديد على يد نظام الملك أعظم رجل تولى الوازرة في عهد السلاجقة قاطبة بل واعظم وزراء الشرق في عصره ، فقد استطاع بثاقب فكره وبعد نظره ان يستفيد من هذه المنشأة الثقافية والدينية في نشر المذهب السني ومناهضة المذهب الشيعي وهكذا أصبحت المدارس منشأة عامة بعد أن كانت خاصة ، يتخرج فيها الموظفون الذين يتولون ادارة الشؤون الإدارية والثقافية والدينية في دولة السلاجقة. (ابن الاثير: 1987 ، 8 /408-409)

مع الانتقال للعصر السلجوقي وما شهده من تأسيس للمدارس النظامية والتي من خلالها تمال إحسان للعلماء ومراعاتهم ، ازدهر العلم في كافة فروعه خاصة المذهب الشافعي الذي اشترط نظام الملك ان يدرس هو الوحيد فقط في تلك المدارس، كما اشترط على من يدرس فيها ان يكون مقرئا للقرآن، بالإضافة إلى أن يكون ممتاز باللغة العربية وآدابها، و ان سبب تأسيس تلك المدارس الفكر الايدولوجي الذي يظهر في صورة الحدث بشكل كبير، فقد أدرك العلماء من اهل السنة وعطفا على ما خلفه العصر السابق للسلاجقة تآمر للفاطميين والبويهيين ثم الاسماعلية الباطنية معا ، ضد الوجود السني بوجه عام والسلاطين والوزراء والأمراء والعلماء السلاجقة بشكل خاص، حينها فقد أدرك الجميع خطورتهم فكان لازما اتخاذ موقف ملموس على أرض الواقع يواجهه التحدي الحضاري، تمثل برعاية علماء السنة الشافعية والصوفية ضد الشيعة. (ابن الجوزي: 1940 ،66/9)

فبدأ التفكير الفعلي في انشاء المدارس النظامية لمقاومة الوجود الشيعي فرأى الوزير نظام الملك ان الاقتصار على مقاومة الشيعة الأمامية والإسماعيلية الباطنية سياسيا لن يكتب له النجاح إلا إذا وازى هذه المقاومة السياسية بمقاومة فكرية، ذلك أن الشيعة نشطوا في هذه الفترة وما قبلها في الدعوة لمذهبهم بوسائل فكرية متعددة واستعانوا على الترويج لدعوتهم بالسيف والسياسة والعلم والدين جميعا ، وبالتالي تبين للوزير نظام الملك انه يجب مقاومة هذا النشاط الفكري الشيعي بنشاط سني مماثل

يتصدى له بالحجة والبرهان وان يقارنه بالمقاومة السياسية ، فجاءت فكرة بناء المدارس النظامية لهذا الغرض. (الصلابي: 2006 ، 280/1)

نظرا لأهمية المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك فقد ذكرها كثير من المؤرخين في مؤلفاتهم بحيث انها لم تقتصر على بغداد فحسب بل حرص على بنائها في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد بنى مدرسة في بغداد ومدرسة أخرى ببلخ وكذلك في نيسابور وهراة واصبهان والبصرة والموصل (السبكي : 4،313/1918) أما عن التصميم المعماري للمدرسة النظامية، فهو يختلف اختلافا بينا عن تصميم المسجد برغم اشتراك كليهما في الوظيفة الأولى وهي تأدية فريضة الصلاة، فبينما يتكون المسجد من صحن يتوسطه وتحيط به البوائك والأروقة من كل الجهات أو بعضها نجد المدرسة تحتوي على صحن مكشوف أو مغطى يتوسطها وتحيط بها أربعة ايوانات من جهاته الأربع او ايوانين أو ايوان واحد ، على أنه من الثابت ان التخطيط الأول للمدرسة في العصر السلجوقي كان عبارة عن ايوان واحد في جهة القبلة، أما الاضلاع الثلاث الأخرى فكانت تحتوي على غرف للطلبة وذلك لأن المدارس الأولى كان معظمها لمذهب واحد (سعاد ماهر : 51/1973) والمدارس التي اسسها نظام الملك كانت في بداية أمرها خاصة بالفقه الشافعي من حيث الأصل والفرع وان يكون المعلم فيها يتميز بالوعظ والحكمة قارئا جيدا يطلع على الكتب العامة عالما بعلوم القرآن متقنا اللغة العربية، وقام نظام الملك بتخصيص الرواتب والمخصصات الثابتة للمعلمين والعاملين في هذه المدارس كما خصص ميزانية مالية لكل مدرسة نظامية تفي بتغطية احتياجات ونفقات تلك المدارس. (ابن الجوزي: 1970 ، 9 /9/65–66)

من أشهر المدارس النظامية التي حظيت بالعناية والاهتمام من قبل الوزير نظام الملك هي نظامية بغداد التي أمر الوزير بإنشائها سنة 457هـ/1064م حيث استمر العمل فيها بشكل متواصل لمدة عامين حتى انتهى العمل من تشيدها في ذي القعدة سنة 459هـ/1066م (أبو الفدا: 1907، 2/186).

وفي شهر محرم لسنة 483هـ امر نظام الملك ان يتولى عبد الله الطبري التدريس في المدرسة النظامية ببغداد متتبعا معاني الشريعة بالتأسيس، ثم جاء بعده القاضي أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي للتدريس هو الأخر بالمدرسة النظامية وقرر نظام الملك ان يقوم الطبري بالتدريس ليوم والشيارزي في اليوم الاخر ليزيد العلم بتحريهما فيضا ووفرة (ابن العمراني: 1999، 204).

حقق الوزير نظام الملك ما كان يخطط له ويطمح اليه من تشيده المدرسة النظامية التي وصفت بأنها اول مدرسة بنيت للفقهاء ولعل توجهاتها الأولى كانت ملتزمة بالمذهب الشافعي. (الحنبلي: 1979، 3 /295–296)

واول من درس فيها هم شيوخ وعلماء المذهب الشافعي الذين أوقف لهم نظام الملك وعلى مدارسهم الوقوف الثابتة.

فظهرت المدرسة النظامية وبشكل جلي وكأنها مدرسة خاصة بالشافعية ثم اتسعت وسرت على شاكلتها مدارس عديدة في أماكن متعددة كانت على درجة من الأهمية في تحقيق الهدف الرئيسي لها في الدفاع عن الشريعة والالتزام بالسنة والخلافة والوقوف بوجه الخصوم ولابد من الإشارة إلى أن المؤرخون وأهل العلم كانوا قد اختلفوا حول بداية نشأة المدارس الإسلامية فاعتقدوا ان نظام الملك هو أول من بنى المدارس في الأسلام، بينما الواقع إن فضل الوزير وكرمه كان في تنظيم المدرسة النظامية وترتيب التدريس فيها وتزويدها بالمكتبات والكتب وتنظيم الرواتب والأرزاق لأساتذتها وطلابها وادارتها وكل القائمين عليها وصرف الأموال بسخاء في انشاء مبانيها. (السبكي : 1918، 314/4)

وقد ذكر القزويني (القزويني : 1958 ، 412) في تأكيده على اهتمام نظام الملك في انشاء المدارس النظامية من أن السلطان الب أرسلان عندما دخل مدينة نيسابور ووقف على باب المسجد وأرى جمع من الفقهاء يرتدون ثياب بسيطة ومتواضعة فاستفسر عن أحوالهم فأجابه نظام الملك هؤلاء طلبة العلم وهم اشرف الناس ويشهد زيهم على فقرهم وطلب من السلطان ان يأذن له ببناء موضع لهم ليشتغلوا بطلب العلم والدعاء للسلطان، فأذن السلطان للوزير وقام ببناء المدارس في جميع أنحاء المملكة وان يصرف عشر مال السلطان في بناء المدارس.

كما أن الوزير نظام الملك واصل العمل الدؤوب في التدقيق والتنظيم والتنضير على المدارس النظامية مظهرا حرصه على كل ما يتعلق بالعمل بها، وقد حدث بعد وفاة الشيخ أبو اسحاق ان أعد مؤيد الملك أبا سعد المتولي على أن يكون مدرسا في المدرسة النظامية، فلم يرضى استحسان نظام الملك هذا الإجراء بل انه سعى في منح التدريس للشيخ الإمام ابي نصر الصباغ صاحب كتاب الشامل، فتم الاتفاق على خروج مؤيد الملك مع أبي سعيد المتولي بطريقة ودية وحضارية (الاصفهاني : 1987،69)

ويتضح مما مر ان التعليم في المدارس النظامية وما سبقها كان امتدادا لحركة التعليم في المساجد التي أنشئت في صدر الأسلام ، حيث استمرت المساجد في أداء وظيفتها التعليمية حتى ظهرت المدارس بجانبها منتشرة في كل مدينة في عصر السلاجقة بأشراف مباشر من الأمراء و الوزراء والحكام الذين يشرفون على تلك المدارس ويحضرون الحلقات العلمية ، اما الناحية المالية فقد تم تنظيمها من خلال الأوقاف الكثيرة التي كان ينفق منها على المدارس والمدرسين والطلاب ، كما وقام بالتدريس متخصصون او يختار نائب للتدريس إذا لم يكن متوفر المدرس الكفئ ، وقد تطورت بمرور الزمن عجلة التعليم وظهرت اكاديمية خاصة بالعلماء المسلمين تتصل بدرجاتهم العلمية وتخصصاتهم ونظام التدريس والمعيدين إضافة الى هيئة الأستاذ ومظهره وملابسه ونظام الحلقات والمناظرات وما الى ذلك (حلمي : 1975 ، 376)

الخاتمة :

ينفرد البحث واصفا أهم مؤهلات الوزير نظام الملك والع وامل التي مهدت له في تولي منصب الوزارة ثم يبحث في أهم الإنجازات العلمية والثقافية التي قدمها للدولة السلجوقية ومن ابرز الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث ان الوزير السلجوقي نظام الملك رجل كانت احلامه اكبر من كرسي الوازرة فقد توفي بلا جريرة أو ذنب في ظروف غامضة دارت حولها الشبهات وكثرة التساؤلات بعد ان كان قد عاش حياة صعبة جدا عانى فيها الفقر و اليتم على حد سواء ، وقدم الوزير خدمات جلية للدولة السلجوقية في ادارته للوزارة بحزم ودهاء وحسن التدبير في إدارة شؤون الدولة سياسيا وعسكريا و اقتصاديا وكان الرجل الثاني بعد السلطان في الدولة ، وكان حريصا على الإسلام الصحيح مؤكدا على تعليم الناس أصول الدين الصحيحة من خلال ميله نحو المذهب الشافعي والدفاع عنه ضد الأفكار والأراء التي كانت سائدة في عصره ، وترك الوزير أثر كبير في الحركة العلمية والأدبية والثقافية من خلال اهتمامه بالعلم والعلماء وانشاء المدارس النظامية ، وكان نظام الملك رجل علم بامتياز أكثر مما هو رجل سياسي أو عسكري ، أحب العلماء والفقهاء وأحبوه فأكثر من مجالستهم وأغدق عليهم الهبات والعطايا وكرس جل وقته في المناظرات والحلقات العلمية.

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين . تحقيق : الدكتور محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1987م.)
- الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد حامد الأصفهاني ، دار الأفاق الجديدة ، ط2 ، (بيروت ، 1987م.)
- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي ، تحقيق : محمد عبدالمنعم العريان ومصطفى القصاص ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، 1987م.)
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، دار المعارف العثمانية ، (حيدر اباد ، 1940م.)
- الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي شذ ارت الذهب في اخبار من ذهب ، دار المسيرة ، ط2 ، (بيروت ، 1979م.)
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد تاريخ ابن خلدون ، تحقيق : سهيل زكار وخليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت ، 2000م.)
- ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، 1977م.)

- الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الدمشقي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط11 ، (بيروت ، 1996م.)
- دول الإسلام ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ومحمود الأرناؤوط ، دار صادر ، (بيروت ، 1958م.)
- الاروندي : نجم الدين أبو بكر محمد بن علي . راحة الصدور واية السرور ، تحقيق : إبراهيم أمين الشواربي وبديع محمد جمعة وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، (القاهرة ، 2005م.)
- السبكي : أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب . طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1918م.)
- الطغرائي : مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين . ديوان الطغرائي ، مطبعة الجوائب ، (القسطنطينية ، 1300م.)
- ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد . تحقيق : الدكتور قاسم السامرائي ، (القاهرة ، 1999م.)
- أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل . المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، (القاهرة ، 1907م.)
- القزويني : زكريا بن محمد . اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت ، 1958م.)
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا . البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، (بيروت ، 1991م.)
- المقدسي : شهاب الدين عبد الرحمن . الروضتين في اخبار الدولتين ، دار الجيل ، (بيروت ، د.ت.)
- النخواني : هند وشاه بن سنجر تجارب السلف ، (طه ارن ، 1900م.)
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله . معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت ، 1957م.)

Bibliography of Arabic References (Translated toEnglish)

- Ibn al-Athir: Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani al-Jazari, known as Izz al-Din. Edited by Dr. Muhammad Yusuf al-Daqqaq. Dar al-Kotob al-Ilmiyah (Beirut, 1987).
- Al-Isfahani: Imad al-Din Muhammad ibn Muhammad Hamid al-Isfahani. Dar al-Afaq al-Jadidah, 2nd ed. (Beirut, 1987).
- Ibn Battuta: Muhammad ibn Abdullah ibn Muhammad al-Lawati al-Tanji. Edited by Muhammad Abdel-Moneim al-Aryan and Mustafa al-Qassas. Dar Ihya al-Ulum (Beirut, 1987).
- Ibn al-Jawzi: Abu al-Faraj Abd al-Rahman. Dar al-Ma'arif al-Uthmaniyyah (Hyderabad, 1940).
- Al-Hanbali: Abu al-Falah Abd al-Hayy. Shadharat al-Dhahab fi Akhbar Man Dhahab. Dar al-Maseerah, 2nd ed. (Beirut, 1979).

- Ibn Khaldun: Abd al-Rahman ibn Muhammad. Tarikh Ibn Khaldun. Edited by Suhayl Zakkar and Khalil Shehahah. Dar al-Fikr (Beirut, 2000).
- Ibn Khallikan: Abu al-Abbas Shams al-Din. Wafayat al-A'yan wa-Anba' Abna' al-Zaman. Edited by Dr. Ihsan Abbas. Dar Sader (Beirut, 1977).
- Al-Dhahabi: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Uthman al-Dimashqi. Siyar A'lam al-Nubala'. Edited by Shu'ayb al-Arna'ut. Muassasat al-Risalah, 11th ed. (Beirut, 1996).
- Duwal al-Islam. Edited by Hasan Ismail Marwah and Mahmoud al-Arna'ut. Dar Sader (Beirut, 1958).
- Al-Rawandi: Najm al-Din Abu Bakr Muhammad ibn Ali. Rahat al-Sudur wa-Ayat al-Surur. Edited by Ibrahim Amin al-Shawarbi, Badi' Muhammad Juma'ah, et al. The Supreme Council of Culture (Cairo, 2005).
- Al-Subki: Abu Nasr Taj al-Din Abd al-Wahhab. Tabaqat al-Shafi'iyyah al-Kubra. Edited by Abd al-Fattah Muhammad al-Helw and Mahmoud Muhammad al-Tanahi. Dar Ihya al-Kotob al-Arabiyah (Cairo, 1918).
- Al-Tughra'i: Muayyad al-Din Abu Ismail al-Husayn. Diwan al-Tughra'i. Al-Jawa'ib Press (Constantinople, 1300 AH / approx. 1883 AD).
- Ibn al-Imrani: Muhammad ibn Ali ibn Muhammad. Edited by Dr. Qasim al-Samarrai (Cairo, 1999).
- Abu al-Fida: Imad al-Din Ismail. Al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bhashar. Al-Husayniyyah Egyptian Press (Cairo, 1907).
- Al-Qazwini: Zakariya ibn Muhammad. Athar al-Bilad wa-Akhbar al-Ibad. Dar Sader (Beirut, 1958).
- Ibn Kathir: Imad al-Din Abu al-Fida. Al-Bidayah wa-al-Nihayah. Maktabat al-Ma'arif (Beirut, 1991).
- Al-Maqdisi: Shihab al-Din Abd al-Rahman. Al-Rawdatayn fi Akhbar al-Dawlatayn. Dar al-Jeel (Beirut, n.d. [No Date]).
- Al-Nakhwani: Hindushah ibn Sanjar. Tajarib al-Salaf (Tehran, 1900).
- Yaqut al-Hamawi: Shihab al-Din Abu Abdullah. Mu'jam al-Buldan. Dar Sader (Beirut, 1957).